قسم علوم القرآن

المادة :تفسير آيات الاحكام

المرحلة : الماجستير

أ.د. محمد سلمان النعيمي

Department of Quranic Sciences

Article: Interpretation of rulings verses

Masters

Prof. Muhammad Salman Al-Nuaimi

البسملة مِنْ الْقُرْآنِ

لَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ في أن بسم الله الرحمن الرحيم مِنْ الْقُرْآنِ فِي قَوْله تَعَالَى [إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ]

وَرُوِيَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلَ مَا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُرْآنِ قَالَ لَهُ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ لَهُ [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ]

وأخرج ابن خزيمة في «صحيحه» عن أم سلمة أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وغيرها آية

وأخرج البخاري عن أنس رضي اللّه عنه أنه سئل عن قراءة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فقال : «كانت قراءته مدا ، ثم قرأ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ يمدّ بسم اللّه ، ويمدّ الرحمن ، ويمدّ الرحيم»

وكان ذلك يوجب أن يقول الأئمة الآخرون بمثل ما قال الشافعي ، لأن ذلك هو الطريق الذي علمت به قرآنية ما بين دفتي المصحف ، وأن هذه الآية من هذه السورة ، وتلك من تلك.

ولكن عرض لمالك رحمه اللّه رأي : أن أهل المدينة لا يقرؤون البسملة في صلاتهم في مسجد المدينة ، وجرى العمل على ذلك في الصلاة من أيامه صلّى اللّه عليه وسلّم إلى أيام الإمام مالك رضي اللّه عنه ، مع قيام الدليل عنده على وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة ، فلو كانت آية من الفاتحة لوجبت قراءتها معها في الصلاة.

وقوّى ذلك عنده عدة أحاديث يفهم منها أنها ليست آية من الفاتحة ولا من أوائل السور ، وإليك بعض هذه الأحاديث :

جاء في «صحيح مسلم» عن عائشة رضي اللّه عنها قالت : كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يفتتح الصلاة بالتكبير ، والقراءة بالحمد للّه رب العالمين

. وفي «الصحيحين» عن أنس قال : صليت خلف النبي صلّى اللّه عليه وسلّم ، وأبي بكر وعمر وعثمان ، فكانوا يستفتحون بالحمد للّه رب العالمين.

ورواه مسلم بلفظ : لا يذكرون بسم اللّه الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا آخرها

حكم قراءة البسملة في الصلاة

اختلف الفقهاء في حكم قراءة البسملة في الصلاة ، فذهب مالك رحمه اللّه إلى منع قراءتها في الصلاة المكتوبة ، جهرا كانت أو سرّا ، لا في استفتاح أم القرآن ، ولا في غيرها من السور. وأجاز قراءتها في النافلة وقال أبو حنيفة رضي اللّه عنه : يقرؤها سرّا مع أم القرآن في كل ركعة ، وروي عنه أنه يقرؤها في الأولى فقط وقال الشافعي وأحمد : يقرؤها وجوبا ، في الجهر جهرا ، وفي السر سرّا.

وسبب الخلاف ما قدمناه في بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ أهي آية من أول الفاتحة ومن أول كل سورة أم لا؟ وشيء آخر وهو اختلاف الآثار في هذا الباب ، فمن ذهب إلى أنها آية من الفاتحة ، ومن كل سورة كالشافعي أوجب قراءتها مع الفاتحة ، ومن ذهب إلى أنها ليست آية من الفاتحة ، واعتمد الأحاديث الدالّة

على عدم قراءتها في الصلاة منع من قراءتها كالإمام مالك. ومن رأى أنها ليست من فاتحة الكتاب ، ولكنه صحت عنده الأحاديث التي تدل على قراءتها سرّا طلب قراءتها سرّا كأبي حنيفة رحمه اللّه. فأما الآثار التي تدل على إسقاط البسملة : فمنها

حديث ابن مغفل قال : سمعني أبي وأنا أقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فقال : يا بني! إياك والحدث ، فإني صليت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وأبي بكر وعمر ، فلم أسمع رجلا منهم يقرؤها

. قال أبو عمر ابن عبد البرّ : ابن مغفل هذا رجل مجهول . ومنها ما رواه مالك من حديث أنس أنه قال : قمت وراء أبي بكر وعمر وعثمان رضي اللّه عنهم فكلهم كان لا يقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ إذا افتتح الصلاة . وفي بعض الروايات : أنه قام خلف النبي صلّى اللّه عليه وسلّم فكان لا يقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ .

إن أهل الحديث قالوا في حديث أنس هذا : إن النقل فيه مضطرب اضطرابا لا تقوم به حجة ، وذلك أنه مرّة روي عنه مرفوعا إلى النبي صلّى اللّه عليه وسلّم ، ومرّة لم يرفع. ومرّة ذكر عثمان ومرة لم يذكر ، ومنهم من يقول : فكانوا يقرؤون بِسْمِ اللَّهِ ... ومنهم من يقول فكانوا لا يقرؤون بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ، ومنهم من يرويه بلفظ : فكانوا لا يجهرون بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

وأما الأحاديث المعارضة لهذا منها :

حديث نعيم بن عبد اللّه المجمر قال : صليت خلف أبي هريرة فقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قبل أم القرآن ، وقبل السورة ، وكبّر في الخفض ، والرفع. وقال : إني لأشبهكم صلاة برسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم

. ومنها

حديث ابن عباس أن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم كان يجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم .

ومنها

حديث أم سلمة أنها قالت : كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ

شرح المفردات

الاسم : هو مشتق من السمو ، وهو الرفعة ، لأن التسمية تنويه بالمسمّى وأصله (سمو) بدليل تصغيره على (سميّ) وجمعه على (أسماء) ومجيء فعله (سميت).

اللّه : علم على واجب الوجود ، وأصله الإله ، حذفت الهمزة ، وأدغم أحد المثلين في الآخر كقول

الرحمن : فعلان من رحم ، وهو الذي وسعت رحمته كل شي ء ، كغضبان للممتلىء غضبا.

الرحيم : فعيل منه. وفي (الرحمن) من المبالغة ما ليس في (الرحيم) ، لأن زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى .

وقد وقال بعضهم : (الرحمن) : المنعم بجلائل النعم ، و(الرحيم) المنعم بدقائقها.

وقال بعضهم : (الرحمن) : المنعم بنعم عامة تشمل المؤمنين والكافرين ، و(الرحيم) :

المنعم بنعم خاصة بالمؤمنين فصفة الرحمن تدل على كثرة الإحسان الذي يعطيه سواء أكان جليلا أم دقيقا ، وليس المعنى أن أفراد الإحسان التي يدل عليها لفظ (الرحمن) أكثر من أفراد الإحسان التي يدل عليها لفظ (الرحيم) ، وقال بعضهم : إنهما مترادفان. وقد فرّق ابن القيم بينهما بفرق حسن ، فذكر أن الرحمن دالّ على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم دالّ على تعلقها بالمرحوم ، وكأنّ الأول الوصف والثاني الفعل ، لذلك ورد وَكانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً [الأحزاب : 43] بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ [التوبة : 128]

سورة الفاتحة والاحكام المتعلقة بها

قال تعالى(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (2) الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (3) مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4))

الحمد : الثناء باللسان على الجميل من نعمة وغيرها ، فيقال : حمدت الرجل على إنعامه ، وحمدته على شجاعته ، وهو كالمدح في ذلك ، وأما الشكر فعلى النعمة خاصّة ، ويكون بالقلب واللسان

ربّ : يطلق في اللغة على معان : منها السيد المطاع ، ومنها المصلح للشي ء ، ومنها المالك للشي ء ، يقال : رب الضيعة ، ورب المال ، قال صفوان لأبي سفيان : لأن يربّني رجل من قريش ، أحبّ إليّ من أن يربني رجل من هوازن.

العالمين : جمع عالم ، والعالم جمع لا واحد له من لفظه ، كالرهط ، وهو اسم لأصناف الأمم ، فكل صنف منها عالم ، وأهل كل قرن منها عالم ذلك القرن ، والأنس عالم ، وكل أهل زمان فهم عالم ذلك الزمان ، والجن عالم ، وكذا سائر أجناس الخلق ، كلّ جنس منها عالم زمانه. لذلك جمع فقيل : عالمون ، ليشمل أصناف الأمم في كل زمان.

وقيل : هو اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين .

الدين : الجزاء ، ومنه قولهم : كما تدين تدان

وقرئ : مالك وملك وإضافته إلى (يوم)

المعنى : مالك الأمر في يوم الدين.

معنى الآيات : الثناء والشكر للّه – دون ما يعبد من دونه – بما أنعم على عباده من الخلق والرزق وسلامة الجوارح ، وهدايتهم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

ويجوز أن يراد من الرب أيّ معنى من معانيه الثلاثة المتقدمة. فهو السيد الذي لا يبلغ سؤدده أحد ، والمصلح أمر خلقه بما أودع في هذا العالم من نظام يرجع كلّه بالمصلحة على عالم الحيوان والنبات. فمن شمس لولاها ما وجدت حياة ولا موت ، ومن مياه بها حياة الحيوان والنبات ، ومن أعضاء للغداء الذي به قوام الفرد ، وأخرى للتناسل الذي به قوام النوع ، وأخرى للسمع والأبصار .

ومعنى ملك يوم الدين (4) أن للّه الملك خالصا يوم الدين دون هؤلاء الملوك الجبابرة الذين كانوا ينازعونه العزة والجبروت في الدنيا ، كما قال تعالى : يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ (16) [غافر : 16].

قال اللّه تعالى : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين

نعبد : نذلّ ونخشع ونستكين ، لأن العبودية معناها الذلّة ، ومنها قولهم : طريق معبّد ، أي : مذلل وطئته الأقدام ، وذللته السابلة. وقولهم : بعير معبّد ، أي مذلل بالركوب في الحوائج ، وسمّي العبد عبدا لذلته لمولاه. وقال صاحب «الكشاف» :

العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ، ومنه ثوب ذو عبدة ، إذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج. ولذلك لم يستعمل إلا في الخضوع للّه تعالى ، لأنه مولى أعظم النعم ، فكان حقيقا بأقصى غاية الخضوع.

نستعين : نطلب المعونة ،

المعنى : لك اللهم نذل ونخضع لا لسواك ، وإياك ربنا نستعين على طاعتك وعبادتك ، وفي أمورنا كلها ، لا أحدا سواك ، إذ كان من يكفر بك يستعين بسواك

قال اللّه تعالى : اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)

اهدنا : وفقنا

كقوله تعالى : اجْتَباهُ وَهَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ [النحل : 121] وقوله : وَقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا [الأعراف : 43]

السراط : الجادة ، من سرط الشيء إذا ابتلعه ، لأنه يسرط السابلة إذا سلكوه ، كما سمّي لقما لأنه يلتقمهم ، وقد تقلب سينها صادا لأجل الطاء ، وقد تشمّ الصاد صوت الزاي ، وقرئ بهن جميعا.

والعرب تستعير الصراط لكل قول أو عمل وصف باستقامة أو اعوجاج ، والمراد به هنا طريق الحق وهو ملة الإسلام.

والضال : الحائد عن قصد السبيل ، والسالك غير المنهج القويم. والمراد بالمغضوب عليهم والضالين : كل حائد عن صراط الإسلام. وقيل : المراد بالمغضوب عليهم : اليهود ، لقوله تعالى في وصفهم قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنازِيرَ [المائدة : 60] والمراد بالضالين : النصارى ، لقوله تعالى في وصفهم : قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ (77) [المائدة : 77].

آمين : اسم صوت سمي به الفعل الذي هو استجب ، وفيه لغتان : القصر والمد في الألف

حكم قراءة سورة الفاتحة في الصلاة

اختلف العلماء في قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة على قولين

القول الأول : وجوب قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة من ركعات الصلاة واليه ذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة

واستدلوا بما ياتي:

بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه عبادة بن الصامت رضي الله أن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قال : «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»

، وحديث أبي هريرة أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قال : «من صلّى صلاة لم يقرأ فيها بأمّ الكتاب فهي خداج ثلاثا – غير تمام»

القول الثاني : عدم وجوب قراءة سورة الفاتحة في الصلاة والواجب قراءة ثلاث آيات قصار من اي سورة او قراءة آية طويله واليه ذهب الحنفية.

واستدلوا من الكتاب والسنة :

أما الكتاب فقوله تعالى : فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ [المزمل : 20] فهذا يدل على أنّ الواجب أن يقرأ أيّ شيء تيسّر من القرآن

قوله تعالى : إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ إلى قوله : فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ [المزمل : 20]

وجه الدلالة:

أن الآيات التي ذكرت تفيد التخيير ، وليست من باب المطلق ، فإنّ معنى (ما تيسر) أيّ شيء تيسر ، فالآية دلت على التخيير

اما السنة:

حديث أبي هريرة أن رجلا دخل المسجد فصلّى ، ثم جاء فسلّم على النبي صلّى اللّه عليه وسلّم ، فردّ عليه السّلام وقال : «ارجع فصلّ ، فإنّك لم تصلّ» فصلى ، ثم جاء ، فأمره بالرجوع إلى فعل ذلك ، ثلاث مرات ، فقال : والذي بعثك بالحقّ ما أحسن غيره ، فقال عليه الصلاة والسلام :

«إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ، ثم استقبل القبلة فكبّر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئنّ ساجدا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ارفع حتى تستوي قائما ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلّها»

وجه الدلالة : بين النبي صلى الله عليه وسلم كيفية الصلاة ولم يذكر سورة الفاتحة فدلت على عدم الوجوب.